اللاعنف
منهج وسلوك

المرجع الديني الراحل
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله درجاته)

بسم الله الرحمن الرحيم

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

صدق الله العلي العظيم

سورة النحل: ١٢٥

كلمة الناشر
بسم الله الرحمن الرحيم

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة إلى الحياة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته دام عزه بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمة منا في نشر الوعي الإسلامي، وسداً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [1].

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (١).

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية، مروراً بعلوم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس. ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار. ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر.

رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(القانون) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن يتقبل منا ذلك، إنه سميع مجيب.

---

(١) سورة الزمر: ١٧-١٨.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

العنف

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله رفيق ويحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[1].

العنف لغة

العنف: أي الخرْق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق. عَنُفَ به وعليه، يَعْنُفُ عُنْفاً وعنافة وأعْنَفَه وعَنَّفَه تعْنيفاً، وهو عنيفٌ، إذا لم يكن رفيقاً في أمره. واعْتنف الأمر: أخذه بعنف.

وهو الشدة والمشقّة، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله.

والعنيف: الذي لا يحسن الركوب وليس له رفق بركوب الخيل،

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٦٩ باب ٢٧ ح٢٠٤٧٨.

وقيل: الذي لا عهد له بركوب الخيل، والجمع عُنُفٌ؛ قال:

لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا فهـم ثقالٌ على أكتافها عنف

وأعنف الشيء: أخذه بشدَّة. واعتنف الشيء: كرهه، واعْتنف الأرض: كرهها واسْتوخمها. واعْتنفته الأرض نفسها: نبتْ عليها.

وقال أبو عبيد: اعْتنفْتُ الشيء كرهْتُه ووجدت له علي مشقة وعنْفاً. واعْتنفْت الأمر اعْتنافاً: جهلته.

قال: واعتفْت الأمر اعْتنافاً، أي: أتيته ولم يكن لي به علم.

قال الباهلي: أكلت طعاماً فاعْتَفَتهُ، أي: أنكرتهُ، قال الأزهري: وذلك إذا لم يوافقه.

ويقال: طريق مُعْتنفٌ أي غير قاصدٍ. وقد اعْتنف اعْتنافاً إذا جار ولم يقْصِد، وأصله من اعتنفت الشيء إذا أخذته أو أتيته غير حاذق به ولا عالم، والتعنيف: التعيير واللوم[1].

العنف والنفس الإنسانية

كثيراً ما نسمع بمصطلح (العنف) وتصادفنا في حياتنا اليومية نماذج كثيرة من هذا القبيل، فنلاحظ أحياناً أناساً تثور ثائرتهم لأتفه الأسباب، ويقدمون على أعمال خطيرة في حالة غضبهم يندمون عليها أشد الندم فيما بعد، وهذه الحالة حيرت عقول أغلب المحللين الاجتماعيين وعلماء النفس.

---

(١) انظر لسان العرب: ج٩ ص٢٥٧ مادة «عنف»، ومجمع البحرين: ج٥ ص١٠٤ مادة «عنف».

فالنفس الإنسانية فيها قوى خيرة تجر الإنسان إلى عمل الخير والصلاح، وفيها أيضاً قوى عدوانية شريرة تحاول جر الإنسان إلى الأعمال الشريرة، والعنف من المصاديق الظاهرية لتغلب القوى الشريرة في الإنسان على القوى الخيرة، وهو من المشاكل المهمة التي صادفت الإنسان في سالف الزمان وإلى يومنا هذا؛ فكثير من الحروب المدمرة وجرائم القتل الفردية والجماعية، وانتشار الحقد والعداوة بين الناس، كان بسبب العنف، أو كان العنف السبب الرئيسي فيها، فإن الحرب العالمية الأولى ـ على سبيل المثال ـ كانت لأسباب عديدة ولكن السبب المباشر ـ على ما قالوا ـ كان اغتيال ولي العهد النمساوي[1] في سراييفو بيد أحد الوطنيين الصرب؛ وذلك بسبب النزعة القومية للصرب. فعزمت النمسا على ضرب النزعة القومية في البلقان والقضاء عليها بإعلان الحرب على صربيا، وما لبثت أن تداخلت التحالفات واشتعلت الحروب في جميع أنحاء أوروبا وامتدت إلى تركيا والشرق. وفاقت هذه الحرب كل ما سبقها من الحروب هولاً وتدميراً، فقد اشترك فيها نحو (٦٥ مليون) مجند وكان القتلى نحو (٩ ملايين) من العسكريين ويقدر عدد الضحايا المدنيين بعشرة ملايين، هذا عدا المشوهين والجرحى.

ومن ثمة كانت هذه الحرب أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية التي اشترك فيها نحو (٩٢ مليون) مجند.

---

(١) هو الأرشيدوق فرنسوا فرديناند.

وقد اختلف في عدد القتلى الذي قدر بحوالي (**٤٩** مليون) قتيل[١].

هذا في التاريخ الحديث، أما في التاريخ القديم فمن الأمثلة على ذلك هو ما يسمى بحرب داحس والغبراء التي جرت بين قبيلتي عبس وذبيان لخلاف وقع على سباق بين فرسين عرفت الحرب باسميهما (داحس والغبراء) واستمرت هذه الحرب **أربعين** سنة[٢].

والحرب الأخرى حرب البسوس التي استمرت أربعين عاماً من سنة (**٤٩٤ ـ ٥٣٤**م) بين بكر وتغلب، والبسوس بنت منقذ التميمية، زارت أختها أم جساس ابن مرة، ومع البسوس جار لها من جرم يقال له: سعد بن شمس ومعه ناقة له، فرماها كليب وائل لما رآها في مرعى قد حماه، فأقبلت الناقة إلى صاحبها وهي ترغو وضرعها يشخب لبنا ودما، فلما رأى ما بها انطلق إلى البسوس فأخبرها بالقصة، فقالت: واذلاه واغربتاه، وأنشأت تقول أبياتا تسميها العرب أبيات الفناء وهي:

لعمري لو أصبحت في دار منقذ ... لما ضيم يعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار غربة ... متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل ... فإنك في قوم عن الجار أمواتي
ودونك أذوادي فخذها وآتني ... بها حلة لا يغدرون ببنياتي

فسمعها ابن أختها جساس فقال لها : أيتها الحرة اهدئي فوالله

---

(١) انظر المنجد في الأعلام: ص٣١٦ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤/٧/٢٨ـ ١٩١٨/١١/١١م) حرف «الحاء».

(٢) المنجد في الاعلام: ص٢٣٦ داحس والغبراء، مادة «الدال».

لأقتلن بلقحة جارك كليبا، ثم ركب فخرج إلى كليب فطعنه طعنة أثقلته فمات منها، ووقعت الحرب بين بكر وتغلب، فدامت أربعين سنة وجرت خطوب وصار (شؤم البسوس) مثلا ونسبت الحرب إليها وهي من أشهر حروب العرب[1].

العدوانية وعلاجها

لقد حاول أغلب المحللين الاجتماعيين وعلماء النفس وضع القواعد السلوكية والقوانين الاجتماعية لتنظيم أعمال الإنسان وإيجاد الضوابط المحكمة للسيطرة على عدوانية النفس الإنسانية، أو على الأقل تحجيم آثارها، ولكنهم فشلوا في علاج هذه الحالة العلاج الشافي والفعّال، وذلك لعدة أسباب منها:

أولاً: إن محاولاتهم العلاجية كانت جزئية، ونظرتهم للنفس الإنسانية كانت ضيقة؛ ولهذا كانت أغلب محاولاتهم موضعية ووقتية؛ فقد ركزوا على جانب واحد من جوانب النفس الإنسانية وحاولوا ربط هذه الحالة به، فبعضهم نسب ذلك إلى الجن والشياطين وما إلى ذلك، أي: ربط حالة العدوانية التي تظهر على النفس الإنسانية بهذه الموضوعات.

ثانياً: البعض الآخر رد ذلك إلى نفس الإنسان، وقال: إن الإنسان مجبور على إظهار عدوانيته، لأن نفسه فيها جانب شرير وجانب خير،

---

(١) الغدير: ج٤ ص١٢٢ البيان.

إلى غير ذلك من التفسيرات غير الصحيحة.

وكل هذه الآراء والتبريرات غير صحيحة ولا تعالج عدوانية الإنسان، بل في بعض الأحيان تزيد هذه الآراء من العدوانية؛ لأنه سوف يجد مبرراً لأفعاله العدوانية إما بنسبتها إلى قوى خارجية كالجن والشياطين، أو نسبتها إلى نفسه ولكن من جانب الاضطرار والإجبار.

العلاج الإسلامي

أما الإسلام فقد وضع البدائل، ودل الإنسان على العلاج الشافي لهذا المرض العضال، فأوجد له تعاليم وسنّ له القوانين التي إذا اتبعها بصورة موزونة وسليمة فإنه بلا شك سوف يتغلب على هذه المشكلة وتهدأ نفسه ويرتاح ضميره أي يصبح هادئاً مطمئناً.

فمثلاً: ينصح لعلاج الغضب بالتفكر بالآيات والروايات الشريفة التي وردت في ذم الغضب ومدح كظم الغيظ والعفو والحلم، وبالتفكر في توقعه عفو الله عن ذنوبه وكف غضبه عنه..

ومما روي حول الغضب ما جاء عن أبي جعفر عليه السلام وقد ذكر الغضب عنده فقال عليه السلام: «إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك؛ فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه، فإن الرحم إذا مست سكنت»[1].

وقال بعضهم: (علاج الغضب أن تقول بلسانك: أعوذ بالله من

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٠٢ باب الغضب ح٢..

الشيطان الرجيم وهكذا أمر رسول الله ﷺ أن يقال عند الغيظ)[1].

العمل والتقدم

ومن أسباب العنف الجهل، أما الإسلام فقد أكد على العلم في آيات وروايات عديدة، كما أكد على العمل المقترن بالعلم واللاعنف أيضاً.

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «طلب المراتب والدرجات بغير عمل جهل»[2].

وقال عليه السلام: «العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه، وإلا ارتحل عنه»[3].

إنّ من الواضح والجلي أن سر تقدم الإنسان كفرد، وتقدم المجتمعات والشعوب بصورة عامة وازدهارها مرتبط بالعمل الجاد المتواصل الذي يقوم به الأفراد أو المجتمعات، ولم يحصل أن أمة من الأمم امتلكت ناصية العلم والتقدم والرقي مع تكاسل أفرادها وفتور هممهم وعدم التفاتهم إلى مسؤوليتهم، وعندما ينتاب أبناء الأمة الفتور والكسل والتقاعس عن العمل يكون مصير أمتهم الجمود والتأخر

---

(١) انظر بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٧٢ ب١٣٢ ضمن ح٢٢..
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٧ ق٦ ب٤ الفصل ٤ ح٢٩٦٠.
(٣) بحار الأنوار: ج٢ ص٣٦ ب٩ ح٤٣.

والتخلف عن مسيرة الأمم المتقدمة، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من رقى درجات الهمم عظمته الأمم»[1].

وقال عليه السلام: «ما رفع إمرأ كهمته ولا وضعه كشهوته»[2].

وقال عليه السلام: «ينبغي أن يكون التفاخر بعلي الهمم والوفاء بالذمم والمبالغة في الكرم، لا ببوالي الرمم ورذائل الشيم»[3].

وقال (صلوات الله وسلامه عليه): «كن بعيد الهمم إذا طلبت، كريم الظفر إذا غلبت»[4].

إذن، العمل صفة ملازمة للتقدم والرقي، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿كُلاً نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ﴾[5]. فقد ذكر سبحانه أنه تبارك وتعالى لا يمنع لطفه عن أحد، فهو كما يعطي المؤمن يعطي الفاسق، لكن الفرق في السعادة هنا، فإن الفاسق لا يهنأ بالسعادة، كما أن الآخرة خاصة بالمؤمن فإن ﴿كُلاً﴾ من المؤمن والكافر ﴿نُمِدُّ﴾ أي: نعطيهم من الدنيا ﴿هَؤُلاَءِ﴾ الذين يريدون الآخرة ﴿وهَؤُلاَءِ﴾ الذين يريدون العاجلة ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ يا رسول الله، أي: نعمته وفضله ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ أي: ممنوعاً فإنه يشمل البر

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٨ ق٦ ب٤ الفصل ٨ ح١٠٢٧٠.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٨ ق٦ ب٤ الفصل ٨ ح١٠٢٧١.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٨ ق٦ ب٤ الفصل ٨ ح١٠٢٨٠.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٨ ق٦ ب٤ الفصل ٨ ح١٠٢٧٦.
(٥) سورة الإسراء: ٢٠.

والفاجر[1].

فليست الملازمة محصورة بأمة من الأمم أو مذهب دون آخر، بل بقدر ما تعطي تأخذ، وبقدر ما تكرس الأمم حياتها للعمل فإنها تتقدم، ولا شك في صحة هذا الأمر ومصاديقه أشهر من أن تحصر بأمثلة.

تقدم الغرب

إن الملاحظ للتقدم التقني والحضاري والعمراني لدول الشرق والغرب من غير المسلمين، يجد أن التقدم الذي أحرزته هذه الدول في بعض جوانب الحياة المادية ـ تقنياً وما أشبه ـ كان نتيجة طبيعية؛ لأنها سلكت بعض سبل التقدم وعملت بجد وتواصل، وسبقتنا في هذه الميادين. نحن لدينا القرآن الحكيم، لدينا سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته عليهم السلام ولكن تخاذل البعض منا وفتورهم جعلنا نعيش في الهامش فلم نستطع أن نساير ركب التقدم.

إن الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دنيا الأسباب والمسببات؛ إذ لكل معلول علة، ولكل نتيجة سبب وطريق، فمن سلك الطريق وكان طريقه صحيحاً وصل إلى النتيجة المطلوبة، والعكس بالعكس. ومن الواضح أن طريق التقدم والتكامل في هذه الحياة هو العمل الجاد، فمن التزم به تقدم حتى لو كان كافراً، ومن تخلى عنه تأخر حتى لو كان

---

(١) انظر (تقريب القرآن إلى الأذهان) للإمام الشيرازي قدس سره: ج١٥ ص٣١، سورة الإسراء.

مؤمناً، يعني ليس هناك تقدم بدون عمل سليم وجدِّي فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلاً نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[1].

نحن مسلمون، ويقيناً أننا على الحق في المبدأ والعقيدة، وطريقنا طريق الحق، والمبادئ الإسلامية السمحاء هي التي تضمن السعادة والرفاه للإنسان، ومن كان طريق الحق مسلكه فإن الفلاح والنصر حليفه، فقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من عمل بالحق أفلح»[2]، وقال عليه السلام: «العاقل يعتمد على عمله، الجاهل يعتمد على أمله»[3]، وما هذه النتائج السيئة التي حصلنا عليها إلا نتيجة طبيعية لقلة عملنا وفتور همتنا، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن ماضي يومك منتقل، وباقيه متهم، فاغتنم وقتك بالعمل»[4].

وقال عليه السلام: «بادروا أعمالكم وسابقوا آجالكم فإنكم مدينون بما أسلفتم ومجازون بما قدمتم ومطالبون بما خلفتم»[5]، فنحن لم نعمل بالقدر الذي يفترض علينا أن نعمله ولذلك سبقتنا الأمم العاملة في كثير من جوانب الحياة.

العمل شعار المؤمن

---

(١) سورة الإسراء: ٢٠.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٥ ق١ ب٦ الفصل ٤ ح٢٩٢٦.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥١ ق١ ب٦ الفصل ٤ ح٢٧٨١.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥١ ق١ ب٦ الفصل ٤ ح٢٧٨٨.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٢ ق١ ب٦ الفصل ٤ ح٢٧٩٥.

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «العمل شعار المؤمن»[1].

وفي كلام آخر له عليه السلام: «العمل رفيق الموقن»[2].

نعم، لكي يلحق المسلمون بركب الأمم المتقدمة لابد لهم من العمل المتواصل الدؤوب وبقدر العمل ستكون النتائج، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَ مَا سَعَى﴾[3] فإن قوله سبحانه يعني: ليس له من الجزاء إلا جزاء ما عمل دون غيره، فإنه لو لم يعمل شيئاً ما استحق شيئاً لا ثواباً ولا عقاباً[4].

وفي الآية التي تليها قال الحق تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[5] فإنه يراه بنفسه ـ أي جزاء العمل ـ في دار الدنيا جزاءً بالمدح أو بغير ذلك، فإن الدنيا قبل الآخرة دار المكافآت، ولا يجتني الجاني من الشوك العنب ـ كما في المثل ـ[6].

فالنتيجة في الدنيا هي الثمرة التي تجنيها الشعوب العاملة من رفعة وتقدم وعز وسيادة، في الوقت الذي تبتلي فيه الشعوب الخاملة بالفقر

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥١ ق١ ب٦ الفصل ٤ ح٢٧٧٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥١ ق١ ب٦ الفصل ٤ ح٢٧٧٩.

(٣) سورة النجم: ٣٩.

(٤) انظر التبيان في تفسير القرآن: ج٩ ص٤٣٥ سورة النجم.

(٥) سورة النجم: ٤٠.

(٦) تقريب القرآن إلى الأذهان، للإمام المؤلف قدس سره: ج٢٧ ص٥٧، سورة النجم.

والتأخر والشعور بالإحباط والتقصير.

يقول أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «من قصر في العمل ابتلي بالهم..»[1].

أما في الآخرة فالعمل ميزان الأعمال حيث يقول تعالى: ﴿..أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[2].

وطبيعي أن الذي نقصده بالعمل هو العمل الصالح المثمر، الذي فيه خير الدنيا والآخرة الذي أمرنا به الله تعالى؛ إذ قال عزوجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

فأعمالنا تقع تحت رقابته تعالى، كما أنها تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام فهل من اللائق أن يكون عمل الإنسان يميل إلى العنف بمحضر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام؟

فقد قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما لكم تسوؤن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟».

فقال رجل: جعلت فداك وكيف نسوؤه؟

فقال: «أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية الله ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسروه»[4].

وعن بريد العجلي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿اعْمَلُوا

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٢٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٩٥.

(٣) سورة التوبة: ١٠٥.

(٤) الأمالي، للشيخ المفيد: ص١٩٦ المجلس ٢٣ ح٢٩.

فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ فقال: «ما من مؤمن يموت ولا كافر فيوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله ﷺ وعلى علي عليه السلام وهلم جرا إلى آخر من فرض الله طاعته»[1].

العمل المصحوب باللاعنف

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان فيما أوصى به رسول الله ﷺ علياً عليه السلام: يا علي ـ إلى قوله ﷺ ـ ثلاث من لم تكن فيه لم يقم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله عزوجل، وخُلُق يداري به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهل»[2].

إنّ الإنسان الذي يتولى عملاً من الأعمال أو مسؤولية من المسؤوليات، غالباً ما يواجه ببعض العقبات والصعوبات والمعوقات التي تعترض سير عمله، وقد تكون هذه العقبات مادية أو معنوية. وتختلف ردود أفعال الناس تجاه هذه العقبات من شخص لآخر تبعاً لدرجة الوعي والإيمان الذي يمتلكه الفرد، وتبعاً لتكامل شخصية العامل ـ من ناحية الخبرة والنضوج والهمة ـ فقد قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته»[3].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١١٣ ب١٠١ ح٢١١٢٣.
(٢) الخصال: ج١ ص١٢٤ باب الثلاثة ح١٢١.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٢٢٢ ب٣٨ ح٩٣٠٧.

فقد ينهزم شخص أمام أبسط العقبات؛ لأنه لا يعتقد بإمكانية تجاوزها، وقد يصمد آخر أمام أعتى وأشد الصعوبات.

إذن، فالذي يترتب علينا هو أن نهيئ أنفسنا ونعدها إعداداً يمكننا من مجابهة الصعوبات التي تعترض طريق عملنا؛ لنواصل العمل بكل جد ومثابرة.

أما كيف يمكن تجاوز الصعوبات حتى يستمر العمل ويعطي نتائجه؟

فإن أهم ما يتطلبه العمل الصحيح الذي يعطي ثماره ويرضاه الله سبحانه وتعالى، هو أن يكون مصحوباً باللاعنف وممتزجاً بالتقوى والورع والأخلاق، روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «دخل يهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعائشة عنده، فقال: السام عليكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليك، ثم دخل آخر، فقال مثل ذلك، فرد عليه كما رد على صاحبه، ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما رد على صاحبه، فغضبت عائشة فقالت: عليكم السام والغضب واللعنة، يا معشر اليهود، يا إخوة القردة والخنازير!.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عائشة، إن الفحش لو كان ممثلا لكان مثال سوء، إن الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه، ولم يرفع عنه قط إلا شانه...»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما وضع الرفق على شيء إلا زانه، ولا

---

(١) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٥٨ ب٩ ح٤٣.

وضع الخرق على شيء إلا شانه، فمن أعطي الرفق أعطي خير الدنيا والآخرة، ومن حُرِمه حرم خير الدنيا والآخرة»[1].

لذا يجب أن يخلو عملنا من العنف، ويمتاز بالتفاهم والخُلُق الرفيع واحترام الرأي الآخر، ومتى ما اقترنت هذه الصفات مع عمل أي فرد أو جماعة أو أمة فإنها سترتقي به سلم التقدم والسيادة، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «إن يهوديا يقال له: حويحر كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دنانير فتقاضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: يا يهودي، ما عندي ما أعطيك، فقال: إني لا أفارقك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى تعطيني، فقال: إذاً أجلس معك، فجلس صلى الله عليه وآله وسلم معه، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهددونه ويتوعدونه، ففطن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهودي يحبسك؟! فقال: نهى تبارك وتعالى أن أظلم معاهداً ولا غيره.

فلما ترحل النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله. أما والله ما فعلتُ بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت في التوراة محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام، وليس بفظ ولا غليظ ولا سحاف[2] في الأسواق، ولا مرس بالفحش، ولا قول

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٩٢ ب٢٧ ح١٣٠٦٤.

(٢) في مستدرك الوسائل: (ولا سخاف)، انظر: ج١٣ ص٤٠٧ ب١٧ ح١.

الخطأ. أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله تعالى. وكان اليهودي كثير المال»[1].

الغضب من مصاديق العنف

الغضب لغة: نقيض الرضا، وهو من مصاديق العنف[2].

وقد ورد النهي عنه في الروايات الشريفة قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «أركان الكفر أربعة: الرغبة والرهبة والسّخط والغضب»[3].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله خلق الجنة قبل أن يخلق النار ـ إلى أن قال: ـ وخلق الرحمة قبل أن يخلق الغضب، وخلق الخير قبل أن يخلق الشر..»[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام: يا معلم الخير، علمنا أي الأشياء أشد؟

فقال: أشد الأشياء غضب الله عزوجل.

قالوا: فبم يتقى غضب الله؟

---

(١) الجعفريات: ص١٨٢ كتاب التفسير.

(٢) وقد غضب عليه غضباً ومغضبةً، وأغضبته أنا فتغضَّبَ، وغضب له: غضب على غيره من أجله ورجلٌ غضبٌ، وغَضُوبٌ، وغُضُبٌّ، بغير هاء، وغُضُبَّة وغَضُبَّة ـ بفتح الغين وضمها وتشديد الباء ـ وغضبان: يغضبُ سريعاً، وقيل شديد الغضب، والأنثى غَضْبى وغضوب، لسان العرب: ج١ ص٦٤٨ مادة «غضب».

(٣) الكافي: ج٢ ص٢٨٩ باب في أصول الكفر وأركانه ح٢.

(٤) الكافي: ج٨ ص١٤٥ حديث محاسبة النفس ح١١٦.

قال: بأن لا تغضبوا.

قالوا: وما بدء الغضب؟

قال: الكبر والتجبر ومحقرة الناس»[1].

نعم، إذا لم يتمالك الإنسان غضبه وتركه يسيطر عليه فعند ذلك تكون أفعاله قريبة إلى الخطأ بنسبة كبيرة، وربما يتحول إلى وحش كاسر يهدم حياته ويضر بحياة الآخرين، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «الغضب ممحقة لقلب الحكيم ـ وقال ـ من لم يملك غضبه لم يملك عقله»[2].

والشواهد الخارجية كثيرة على ذلك، فتلاحظ الإنسان الغضوب يقدم على أعمال غير عقلائية، مثلاً يكسر زجاج البيت أو التحف النادرة فيحطم كل ما يصادفه في حالة غضبه، ولكن عندما يهدأ يندم على كل عمل قام به في حالة غضبه، وهو دليل على أن تصرفاته لا تكون عن تعقل وإدراك، وإنما تصرف قريب من تصرفات الإنسان المريض (المجنون)، وقد ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الحدة ضرب من الجنون؛ لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم»[3].

وقد وصف الغضب بأنه مهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٦٢ ب٥٣ ح٢٠٧٤٥.

(٢) الكافي: ج٢ ص٣٠٥ باب الغضب ح١٣.

(٣) نهج البلاغة، الحكم: ٢٥٥.

أعمى صاحبه وأصمه عن كل موعظة، فالموعظة لا تؤثر عليه بل تزيده غيظاً؛ لأن نور العقل ينمحي بدخان الغضب الذي ينبعث من غليان دم القلب إلى الدماغ، فصار دماغه ككهف أضرمت فيه نار فاسودَّ جوانبه وامتلأ بالدخان، وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ وانمحى نوره، فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج، فيحرق جميع ما يقبل الاحتراق، فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ، وربما يقوى نار الغضب فتغنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظاً. ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمرّ الأحداق، فلو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه؛ حياءً من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره؛ لأن القبح منه انتشر إلى الظاهر، فأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام، الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحي منه قائله عند فتور الغضب[1]، لذا قال رسول الله ﷺ عندما رأى قوماً يدحرجون حجراً: «أشدكم من ملك نفسه عند الغضب، وأحملكم من عفا بعد المقدرة»[2].

(١) انظر سفينة البحار: ج٢ ص٣٢٠ باب الغين بعده الضاد.
(٢) تحف العقول: ص٤٥ ما روي عنه في قصار المعاني.

نصائح الأطباء

إن أغلب الأطباء وعلماء الاجتماع ينصحون الإنسان أن لا يقدم في حالة غضبه على تناول الطعام أو الشراب أو أي عمل ذي أهمية؛ لأن نتائج هذه الأعمال سوف تكون سلبية، فقد ذكرت الأبحاث الحديثة حول موضوع الغضب: إن الغضب كصورة من صور الانفعال النفسي يؤثر على قلب الشخص الذي يغضب تأثير العدو أو الجري على القلب، وانفعال الغضب يزيد من عدد مرات انقباضه في الدقيقة الواحدة فيضاعف بذلك كمية الدماء التي يدفعها القلب، أو التي تخرج منه إلى الأوعية الدموية مع كل واحدة من هذه الانقباضات أو النبضات، وهذا بالتالي يجهد القلب؛ لأنه يقسره على زيادة عمله عن معدلات العمل الذي يفترض أن يؤديه بصفة عادية أو ظروف معينة.

وقد لوحظ أن الإنسان الذي اعتاد على الغضب يصاب بارتفاع ضغط الدم ويزيد عن معدله الطبيعي، كما أن شرايينه تتصلب جدرانها وتفقد مرونتها وقدرتها على الاتساع لكي تستطيع أن تمرر تلك الكمية من الدماء الزائدة التي يضخها القلب المنفعل؛ لهذا يرتفع الضغط عند الغضب.

كما ذكر أن الغضب المكبوت له مساوئ لا تقل عن الغضب الصريح، فقد تصل الحالة إلى الإصابة بمرض السرطان، كما الغضب الصريح قد يؤدي إلى الإصابة بأزمات قلبية قاتلة.

فمادامت نتائج الغضب سلبية إلى هذا الحد وأكثر من ذلك، فلندع الغضب ونكون هادئين في جميع تصرفاتنا مع أنفسنا ومع الآخرين حتى

نحصل على نتائج إيجابية مرضية لله عزوجل ورسوله ﷺ ولأنفسنا.

منهج اللاعنف
في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام

إنَّ المتتبع لسيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته الأطهار عليهم السلام يلاحظ بكل وضوح أن منهجهم بعيد كل البعد عن العنف والعصبية، ففي كل الجوانب تجدهم عليهم السلام ميّالين إلى السلم والتفاهم، فلم يدوّن لنا التاريخ نموذجاً واحداً على عمل عنيف قاموا به، بل على العكس فإن جميع أعمالهم كانت مفعمة بالحب والخير والصلاح والاصلاح. فالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم رغم الآلام والخطوب التي حفّت بحياته، نجده باسم الثغر، يعامل صديقه وعدوه بصدر رحب ملؤه الحب والحنان، وبهذا الأسلوب استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يستميل قلوب الناس إليه وإلى دعوته حتى أعدائه، وبهذه الطريقة اكتسح الظلام الذي كان يعم المعمورة، فحرّر الفكر من الأوهام الجاهلية، وكشف الواقع المشرق للحياة، بأسلوبه الهادي الرقيق ولم يستخدم العنف في دعوته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، قوله تعالى: ﴿وإِنَّكَ﴾ أي يا رسول الله ﴿لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إذ تحتمل المشاق

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) سورة القلم: ٤.

والمتاعب في التبليغ بكل رحابة صدر، وقد أوذي (صلى الله عليه وآله) حتى قال: «ما أوذي نبي مثلما أوذيت»[1]، فهو ﷺ القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

وكذلك روي عن أبي عبد الله عليه السلام قوله لبحر السقَّاء: «يا بحر، حسن الخُلق يسر» ـ ثم قال ـ «ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة؟»

قلت: بلى.

قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد، إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً، ولم يقل النبي ﷺ شيئاً، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي ﷺ في الرابعة وهي خلفه فأخذت هُدبةً من ثوبه ثم رجعت، فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبست رسول الله ﷺ ثلاث مرات لا تقولين له شيئاً، ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه؟

قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ من هدبة من ثوبه ليستشفي بها، فلما أردت أخذها رآني فقام فاستحييت منه أن آخذها وهو يراني، وأكره أن أستأمره في أخذها فأخذتها»[3].

---

(١) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٢٩ ص٣٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٨٧ ب٦ ح١.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٠٢ باب حسن الخلق ح١٥.

والنماذج على سيرة النبي المصطفى ﷺ في هذا المجال أكثر من أن تحصى، فمعاملته ﷺ مع الأعرابي الذي جرّ بُرده وأثّر ذلك في رقبته الشريفة مشهورة ومتواترة، فقد روى أنس بن مالك قال: إنّ النبي ﷺ أدركه أعرابي فأخذ بردائه فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال له: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك!.

فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك وأمر له بعطاء[1].

فهو ﷺ الذي قيل فيه: كان رسول الله حيياً لا يسأل شيئا إلاّ أعطاه، فهو ﷺ: أشد حياءً من العذراء في خدرها[2].

وكذلك معاملة اللين والرفق التي استخدمها ﷺ مع قومه الذين شردوه وكذبوه، فهذا أبو سفيان وزوجته هند وهما من أعداء الرسول الأكرم ﷺ وغيرهما من أمثال وحشي الذي غدر بعم النبي ﷺ حمزة عليه السلام وقتله ومثّل بجسده الشريف ماذا كان ردّ النبي ﷺ عليهم؟

ذهب الأكثر من أرباب التفسير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[3] أن هذه الآية نزلت في المشركين وحشي وأصحابه، وذلك أنه لما قتل حمزة عليه السلام

(١) مكارم الأخلاق: ص١٧ ب١ الفصل٢ في تواضعه وحيائه ﷺ.
(٢) مكارم الأخلاق: ص١٧ ب١ الفصل٣ في تواضعه وحيائه ﷺ.
(٣) سورة النساء: ٤٨.

وكان قد جُعل له على قتله أن يعتق، فلم يوف له بذلك، فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: أنا قد ندمنا على الذي صنعناه، وليس يمنعنا عن الإسلام إلاّ أنا سمعناك تقول وأنت بمكة: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ﴾[1]، الآيتان، وقد دعونا مع الله الها آخر، وقتلنا النفس التي حرم الله، وزنينا، فلولا هذه لاتبعناك، فنزلت الآية: ﴿إِلاَ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾[2] الآية، فبعث بها رسول الله ﷺ إلى وحشي وأصحابه.

فلما قرؤوها كتبوا إليه: إن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل صالحا، فلا نكون من أهل هذه الآية، فنزل: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء﴾[3] فبعث بها إليهم فقرؤوها.

فبعثوا إليه: إنا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئته، فنزل: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[4] فبعث بها إليهم، فلما قرؤوها، دخل هو وأصحابه في الإسلام، ورجعوا إلى رسول الله ﷺ، فقبل منهم. ثم قال لوحشي: «أخبرني كيف قتلت حمزة ؟» فلما أخبره قال:

---

(١) سورة الفرقان: ٦٨.
(٢) سورة مريم: ٦٠.
(٣) سورة النساء: ٤٨.
(٤) سورة الزمر: ٥٣.

«ويحك، غيّب وجهك عني»، فلحق وحشي بعد ذلك بالشام، وكان بها إلى أن مات.

وفي خبر آخر أنه ﷺ سأله: «أنك لما أخرجت قلب حمزة عليه السلام ما رأيت فيه؟» قال وحشي: رأيت فيه خرقاً ورصعاً، فقال: «نعم مات له ابن وبنت، فالابن خرق القلب، والابنة رصعته» ثم قال له: «غيّب وجهك عني».

فقال الوحشي: نبي وحقود؟!

فقال: «لست بحقود، ولكني إذا رأيتك تجدد عليّ حزني بحمزة».

فذهب إلى الشام[1].

ولم يعاقبه النبي ﷺ على تجاسره هذا.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما كان فتح مكة قال رسول الله ﷺ: عند من المفتاح؟.

قالوا: عند أم شيبة، فدعا شيبة فقال: اذهب إلى أمّك فقل لها ترسل بالمفتاح.

فقالت: قل له: قتلت مقاتلنا وتريد أن تأخذ منا مكرمتنا؟

ـ إلى أن قال ـ فوضعته في يد الغلام فأخذه ودعا لأحد المسلمين فقال له: هذا تأويل رؤياي من قبل.

ثم قام ﷺ ففتحه، وستره فمن يومئذ يستر، ثم دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فيه المفتاح وقال: «رده إلى أمّك».

---

(١) نور البراهين: ج٢ ص٤٢٨ تفسير آية ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِه﴾.

قال: ودخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم فأتى رسول الله ﷺ البيت وأخذ بعضادتي الباب ثم قال:

«لا إله إلاّ الله، أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده»، ثم قال: «ما تظنون وما أنتم قائلون؟»

فقال سهيل بن عمرو: نقول خيراً ونظن خيراً، أخ كريم وابن عم.

قال: «فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1] ألا إن كل دم ومال ومأثرة كان في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي، إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما. ألا إنّ مكة محرمة بتحريم الله لم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي إلاّ ساعة من نهار، فهي محرمة إلى أن تقوم الساعة لا يختلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلاّ لمنشد، ثم قال: ألا لبئس جيران النبي كنتم، لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وفللتم ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني، فاذهبوا فأنتم الطلقاء».

فخرج القوم كأنما أنشروا من القبور ودخلوا في الإسلام.

وقال: ودخل رسول الله ﷺ مكة بغير إحرام وعليهم السلاح، ودخل البيت لم يدخله في حج ولا عمرة ودخل وقت الظهر، فأمر بلالاً فصعد على الكعبة وأذّن، فقال عكرمة: والله إن كنت لأكره أن أسمع صوت ابن رياح ينهق على الكعبة، وقال خالد بن أسيد: الحمد

---

(١) سورة يوسف: ٩٢.

لله الذي أكرم أبا عتاب من هذا اليوم أن يرى ابن رياح قائماً على الكعبة. قال سهيل: هي كعبة الله وهو يرى ولو شاء لغير ـ قال ـ وكان أقصدهم. وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً والله لو نطقت لظننت أن هذه الجدر تخبر به محمداً.

وبعث صلى الله عليه وآله وسلم إليهم فأخبرهم بما قالوا، فقال عتاب: قد والله قلنا يا رسول الله ذلك فنستغفر الله ونتوب إليه، فأسلم وحسن إسلامه وولاّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة»[1].

نعم، مع كل هذه الأعمال التي عملها هؤلاء، عفى عنهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما ظفر بهم في فتح مكة.

فهذه النماذج من الأعمال التي قام بها رسول الإنسانية صلى الله عليه وآله وسلم تجاه أعدائه هي دروس وعبر، أراد صلى الله عليه وآله وسلم منها تعليم الناس المنهج الحق وسلوك طريق اللاعنف.

منهج أهل البيت عليهم السلام

إن منهج اللاعنف والرفق هو المنهج والسلوك الذي سار عليه آل البيت عليهم السلام، فكل إمام من أئمة الهدى له سفر خالد في مجال اللين والهداية.

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول في كتابه لمالك الأشتر عندما ولاه

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص١٣٢ ب٢٦ ضمن ح٢٢.

مصر:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبد الله عليٌ أمير المؤمنين مالكَ بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاّه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لايسعد أحد إلاّ باتباعها ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها».

ثم قال عليه السلام: «ثم اعلم يا مالك، أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك وشحّ بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم».

ثم قال عليه السلام: «ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع؛ فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير، وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.

إياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال، أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلاّ تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد، وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية».

ثم قال عليه السلام: «وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك، أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل

وتر، وتغاب عن كل ما لا يضح لك».

ثم قال عليه السلام: «والصق بأهل الورع والصدق، ثم رُضهم على ألاّ يطروك، ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة، ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء؛ فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المئونات عليهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده».

ثم قال عليه السلام: «واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلاّ ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه ووضع على حده، فريضةً في كتابه، أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعزّ الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلاّ بهم، ثم لا قوام للجنود إلاّ بما يخرج الله

لهم من الخراج، الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلاّ بالصنف الثالث من القضاة والعمال و الكتاب، لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلاّ بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف.

ثم الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة. ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة؛ فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك

وحسن الظن بك. ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه. وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك.

وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مودتهم إلاّ بسلامة صدورهم ولا تصح نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على ولاة الأمور، وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم، فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم؛ فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله».

ثم قال عليه السلام: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة

لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك؛ ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك، فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة؛ فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً».

ثم قال عليه السلام: «وتفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلاّ بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا، فإن شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المئونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل

ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر».

ثم قال عليه السلام: «ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترءون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك».

ثم قال عليه السلام: «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، ولا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحْكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه؛ فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه، وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة

نفسه، وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل، و قد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبّروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم. واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك؛ حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع. ثم احتمل الخرق منهم و العي و نح عنهم الضيق والأَنَف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وإعذار».

ثم قال عليه السلام: «وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً.

وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك؛ فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، و إنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين، إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيم احتجابك من

واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مئونة فيه عليك من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة».

ثم قال ﷺ: «وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة.

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم بإصحارك، فإن في ذلك رياضةً منك لنفسك، ورفقاً برعيتك وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق. ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضًا؛ فإن في الصلح دعةً لجنودك، وراحةً من همومك وأمناً لبلادك».

ثم قال عليه السلام: «وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك؛ فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه».

ثم قال عليه السلام: «إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام؛ فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد؛ لأن فيه قود البدن. وإن ابتليت بخطأ، وأفرط عليك سوطك، أو سيفك، أو يدك، بالعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم، وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء؛ فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين. وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[1]».

ثم قال عليه السلام: «وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة والتغابي عما تعنى به، مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم، املك حمية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك

(١) سورة الصف: ٣.

بكف البادرة وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك، فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك؛ لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها، وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته، على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة و تضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، إنا إليه راجعون، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً، والسلام»[1].

نعم، بهذا الشكل والنموذج كانت جميع توجيهاته وتصرفاته (صلوات الله وسلامه عليه) مع الناس مبنية على منهج النصح الهادئ البعيد عن التجريح والعنف، فالخوارج الذين شهروا سيوفهم بوجه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه وأقاموا عليه حرباً ضروساً، راح ضحيتها الآلاف من المؤمنين، ومع ذلك رأينا أن التاريخ حفظ لنا: أنه لم يقطع عطاء الخوارج من بيت المال. فهل هناك حرية وأخلاق ولين ورحمة

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣ كتبه عليه السلام للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن وقد أخذنا منه مقتطفات تفيد المطلب.

كهذه على مر التاريخ[1].

وإنّ من أظهر مصاديق اللاعنف في الحوار والتعامل مع المخالف في الرأي هو ما يتبين ويظهر جلياً في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام مع معارضيهم والمخالفين لهم بالرأي بل حتى مع أشد المحاربين، حتى أن المخالف لايقوم عن مجلسهم إلاّ معترفا بفضلهم وعلمهم مقراً بأن الله جعلهم مستودع علمه وحكمته، فيقوم القائم منهم وهو يردد: الله أعلم حيث يضع رسالة.

هل تعرف الصلاة؟

روي عن أبي حازم قال: قال رجل لزين العابدين عليه السلام: تعرف الصلاة؟ فحملت عليه، فقال عليه السلام: «مهلاً يا أبا حازم، فإن العلماء هم الحلماء الرحماء» ثم واجه السائل فقال: «نعم أعرفها» فسأله عن أفعالها وتروكها وفرائضها ونوافلها حتى بلغ قوله: ما افتتاحها؟

قال: «التكبير».

قال: ما برهانها؟

---

(١) انظر مستدرك الوسائل: ج١١ ص٦٥ ب٢٤ ح٩، ولمعرفة المزيد من سياسة اللاعنف للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) والأئمة الأطهار عليهم السلام راجع كتاب (السياسة من واقع الإسلام) لسماحة المرجع الدين آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله).

قال: «القراءة».

قال: ما خشوعها؟

قال: «النظر إلى موضع السجود».

قال: ما تحريمها؟

قال: «التكبير».

قال: ما تحليلها؟

قال: «التسليم».

قال: ما جوهرها؟

قال: «التسبيح».

قال: ما شعارها؟

قال: «التعقيب».

قال: ما تمامها؟

قال: «الصلاة على محمد و آل محمد».

قال: ما سبب قبولها؟

قال: «ولايتنا والبراءة من أعدائنا».

فقال: ما تركت لأحد حجةً ثم نهض يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته وتوارى[1].

أي شيء تعبد؟

(١) مستدرك الوسائل: ج٤ ص١١٣ ب٥ ح٥.

وعن عبد الله بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ودخل عليه رجل من الخوارج فقال: يا أبا جعفر، أي شيء تعبد؟

قال: «الله».

قال: رأيته؟

قال: «لم تره العيون بمشاهدة العيان ورأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس و لا يشبه بالناس، موصوف بالآيات معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو» قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

الموعظة المهذبة

وروي: أن طاوساً اليماني دخل على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان عليه السلام يعلم أنه يقول بالقدر، فقال له: «يا طاوس، من أقبل للعذر من الله ممن اعتذر وهو صادق في اعتذاره؟».

فقال له: لا أحد أقبل للعذر منه.

فقال له: «من أصدق ممن قال: لا أقدر وهو لا يقدر؟».

فقال طاوس: لا أحد أصدق منه.

فقال له الصادق عليه السلام: «يا طاوس، فما بال من هو أقبل للعذر لا يقبل عذر من قال لا أقدر وهو لا يقدر؟!».

---

(١) بحار الأنوار: ج٤ ص٢٦ ب٥ ح١.

فقام طاوس وهو يقول: ليس بيني وبين الحق عداوة، والله أعلم حيث يجعل رسالاته فقد قبلت نصيحتك[1].

إنني أصلحت أمره

وروي: أن رجلا من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى عليه السلام ويسبّه إذا رآه ويشتم عليا عليه السلام، فقال له بعض حاشيته يوما ـ للإمام عليه السلام ـ: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشد النهي وزجرهم، وسأل عن العمري فذكر أنه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه فوجده في مزرعة له فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري: لا توطئ زرعنا، فتوطأه عليه السلام بالحمار حتى وصل إليه، ونزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه، وقال له: «كم غرمت على زرعك هذا؟».

قال: مائة دينار.

قال: «فكم ترجو أن تصيب؟».

قال: لست أعلم الغيب.

قال له: «إنما قلت كم ترجو أن يجيئك فيه؟».

قال: أرجو أن يجيء مائتا دينار.

قال: فأخرج له أبو الحسن عليه السلام صرة فيها ثلاثمائة دينار وقال: «هذا زرعك على حاله والله يرزقك فيه ما ترجو».

---

(١) أعلام الدين: ص٣١٧ ومن كلام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: فقام العمري فقبل رأسه و سأله أن يصفح عن فارطه، فتبسم إليه أبو الحسن وانصرف، قال: وراح إلى المسجد فوجد العمري جالسا فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته، قال: فوثب أصحابه إليه فقالوا له: ما قضيتك قد كنت تقول غير هذا؟!

قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام فخاصموه وخاصمهم، فلما رجع أبو الحسن إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: «أيما كان خيرا، ما أردتم أم ما أردت؟ إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم وكفيت به شره»[1].

أنت احب خلق الله إلي

وروى المبرد وابن عائشة أن شامياً رآه ـ أي الإمام الحسن الزكي عليه السلام ـ راكباً، فجعل يلعنه والحسن لا يرد، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك، وقال: «أيها الشيخ، أظنك غريباً ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعا أشبعناك، وإن كنت عريانا كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأن لنا موضعا رحبا وجاها عريضا ومالا كبيراً».

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٨ ص١٠٢ ب٥ ح٧.

فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالاته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي، وحول رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل و صار معتقدا لمحبتهم[1].

طب نفسا

وقال الواقدي: كان هشام بن إسماعيل يؤذي علي بن الحسين عليه السلام في إمارته، فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس، فقال: ما أخاف إلا من علي بن الحسين عليه السلام، فمر به علي بن الحسين عليه السلام وقد وقف عند دار مروان، وكان علي عليه السلام قد تقدم إلى خاصته: «ألا يعرض له أحد منكم بكلمة» فلما مر ناداه هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وزاد ابن فياض في الرواية في كتابه: أن زين العابدين عليه السلام أنفذ إليه وقال: «انظر إلى ما أعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك، فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا».

فنادى هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالاته[2].

وشتم بعضهم زين العابدين (صلوات الله عليه) فقصده غلمانه فقال: «دعوه فإن ما خفي منا أكثر مما قالوا» ثم قال له: «ألك حاجة يا

---

(١) المناقب: ج٤ ص١٩ فصل في مكارم أخلاقه عليه السلام.
(٢) بحار الأنوار: ج٤٦ ص٩٤ ب٥ ح٨٤.

رجل؟».

فخجل الرجل فأعطاه ثوبه وأمر له بألف درهم، فانصرف الرجل صارخا يقول: أشهد أنك ابن رسول الله[1].

أشهد أنك من أولاد الرسل

وكان علي بن الحسين عليه السلام خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبّه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين عليه السلام: «مهلاً عن الرجل» ثم أقبل عليه السلام عليه فقال: «ما ستر عنك من أمرنا أكثر أ لك حاجة نعينك عليها».

فاستحيا الرجل ورجع إلى نفسه، فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، قال: فكان الرجل يقول بعد ذلك: أشهد أنك من أولاد الرسل[2].

وعنك أغضي

واستطال رجل على علي بن الحسين عليه السلام فتغافل عنه، فقال له الرجل: إياك أعني، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «وعنك أغضي»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٦ ص٩٥ ب٥ ضمن ح٨٤.

(٢) كشف الغمة: ج٢ ص١٠١ ذكر الإمام الرابع أبي الحسن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

(٣) المصدر السابق.

ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن علياً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكواء وهو خلفه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فأنصت علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية، ثم عاد في قراءته.

ثم أعاد ابن الكواء الآية فأنصت علي عليه السلام أيضاً، ثم قرأ فأعاد ابن الكواء فأنصت علي عليه السلام ثم قال عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ﴾ ثم أتم السورة ثم ركع»[1].

(١) تهذيب الأحكام: ج٣ ص٣٥ ب٣ ح٣٩.

اللاعنف عند العلماء

أنشد شاعر قصيدة هجا فيها المرجع الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله[1] من المراجع، وينقل عن الشاعر نفسه أنه قال: في أحد أيام الصيف وكان الوقت ظهراً شديد الحر، وبينما كنت جالساً في منزلي سمعت الباب يطرق وعندما ذهبت وفتحت الباب وإذا بذلك المرجع يقف خلف الباب، فاستغربت كثيراً!

وبعد أن سلم علي قال: أتقبلني أن أكون ضيفك، فقلت له بتعتعة لسان: تفضل.

فدخل، فتحرجت وتألمت كثيراً، وقلت في نفسي: لربما أن السيد سمع تلك القصيدة.

وبعد أن تفقد أحوالي، قال لي: ألا تقرأ لي تلك الأبيات التي أنشدتها، فامتنعت إلا أنني بعد إلحاح السيد وإصراره قرأت القصيدة، ولكني كنت في حالة يرثى لها من الخجل الشديد وبعد إتمام القصيدة ـ وطبقاً لما تعارف عليه الناس هناك في العراق حيث كانوا يكرمون

---

(١) هو السيد أبو الحسن بن السيد محمد بن السيد عبد الحميد الموسوي الأصفهاني ولد سنة (١٢٨٤هـ) في أصفهان، هاجر إلى النجف الأشرف أواخر القرن الثالث عشر، أقام في كربلاء المقدسة مدة، وبعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي رحمه الله رشح للزعامة الدينية، وبعد وفاة الشيخ أحمد كاشف الغطاء رحمه الله والشيخ الميرزا حسين النائيني رحمه الله تهيأ له رحمه الله التصدي للمرجعية العامة. توفي قدس سره في ذي الحجة عام (١٣٦٥هـ) في الكاظمية المشرفة ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن في الصحن العلوي الشريف.

الشعراء وأهل الأدب ـ أخرج السيد ظرفاً من جيبه وناولني إياه قائلاً: خذ هذه الهدية. ثم انصرف، عندئذ عرفت مكارم أخلاقه التي تعلمها من أهل بيت النبوة عليهم السلام وأنه المتخرج من تلك المدرسة الإلهية، فقررت أن لا أعود لمثلها أبداً.

هذا التصرف الذي أبداه هذا العالم الجليل تجاه الشاعر الذي هجاه، لهو نابع عن إيمان صادق ووعي صحيح واتباع لأوامر الله سبحانه وتعالى، واقتداء بسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة عليهم السلام وتطبيقاً لما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] وعلى ضوء ذلك جنى ثماره في الدنيا حيث ضمن بأن هذا الشاعر لا يهجوه بعد ذلك وكسب وده واحترامه، وكذلك احترام الناس، فضلاً عن نيل ثواب ذلك العمل في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ..﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٣-١٣٤.

الاختلاف السلبي والإيجابي

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[2].

إنّ الاختلاف ليس حالة سلبية دائماً، وإنما قد تكون حالة ايجابية محفّزة نحو اختيار السبيل الأمثل والاستفادة من وجهات النظر المختلفة. فالاختلاف حالة طبيعية في حياة الإنسان وخصوصاً في الرأي وهذه سنة الله تعالى في الكون، ولكن نتيجة لقلة الوعي وضيق الصدر يصبح هذا الاختلاف سبباً للتصارع والتصادم بين الناس فيصبح الإنسان نتيجة لذلك عنيفاً في تصرفاته وسلوكه الخارجي بل حتى مع نفسه، ويبني أغلب أموره وعلاقاته على أساس العنف والخشونة وعدم إبداء المرونة في تقبل الرأي المخالف لرأيه، وهذا هو الاختلاف السلبي.

إذاً الاختلاف على قسمين: منه سلبي، إذا كان يؤدي إلى صراع وتقاتل، وإيجابي إذا أدى إلى التنافس الشريف المبني على أساس القواعد السلمية، فمن اللازم علينا أن يكون خلافنا من القسم الثاني ـ إيجابياً ـ وأن نتمتع ببعد نظر وصدر واسع، يتسع لاستقبال الآراء المغايرة لوجهات نظرنا، وأن نستثمر هذا الاختلاف لنخرج بالرأي الصائب ونرتقي إلى هذه الحالة الإيجابية في توظيف الخلاف لخدمة قضايانا

---

(١) سورة الروم: ٢٢.

(٢) سورة المطففين: ٢٦.

الإسلامية فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب»[1].

وقال عليه السلام: «من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»[2].

أما حالة العنف والخشونة ـ الناتجة من الاختلاف السلبي ـ من دون مبرر سوى اختلاف وجهات النظر، فتعني التوقف في بداية المشوار والاصطدام مع الآخرين نتيجة لقلة الوعي وضيق الأفق، وخير شاهد على ذلك: أننا نرى في البلدان التي يحكمها حزب واحد أن هذا الحزب يمسك بزمام الأمور بالقوة والعنف ويفرض وجهة نظره على كافة الأصعدة ويخضع الآخرين لأسلوب تفكيره، فتكون نسبة الخطأ في اتخاذ مواقفه عالية جداً لأنه ينظر للحياة من زاوية ضيقة؛ لذلك نرى ضرورة الاهتمام بآراء ووجهات نظر الآخرين واحترامها، حتى نتمكن من التفاهم حول القضايا المختلف عليها. وعلى العكس من ذلك فإن إهمال وتجاهل آراء الآخرين عند الاختلاف حول القضايا هي التي تؤدي إلى نشوب التباغض ومن ثم خسران العمل.

سئل أحد رؤساء الدول الغربية[3]: من هو الشخص الذي يستطيع أن يصبح رئيساً للجمهورية من بعدك؟

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٢ ق٦ ب٤ الفصل ١ ح١٠٠٦٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٢ ق٦ ب٤ الفصل ١ ح١٠٠٧٣.

(٣) هو الرئيس الفرنسي شارل ديغول (١٨٩٠-١٩٧٠م) قائد فرنسي ورجل دولة، دعا إلى مقاومة الألمان، رئيس الجمهورية (١٩٥٩-١٩٦٩م) له مذكرات.

فقال: ذلك الشخص الذي يتمتع ـ كحد أدنى ـ بتحمل اختلاف الرأي.

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «من جهل وجوه الآراء أعيته الحيل»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «رأس السياسة استعمال الرفق»[2].

أسباب الاختلاف

الاختلاف ـ وخصوصاً في الرأي ـ ينشأ بسبب أمور منها:

١: الاختلاف في الاجتهاد، مثلاً: إن المرحوم الوالد رحمه الله[3] كان رأيه الفقهي أن الكر يساوي ٣٦ شبراً مكعباً من الماء، وكذلك المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي قدس سره[4]، في الوقت الذي كان المرحوم

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٣ ق٦ ب٤ الفصل ١ ح١٠١٠٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٢ القسم ٤ ب٢ الفصل ٤ ح٧٨٣٠.

(٣) هو السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي قدس سره ولد في كربلاء المقدسة (١٣٠٤هـ)، كان قدس سره عالماً تقياً، ورعاً عابداً، زاهداً كثير الحفظ، جيد الخط، وكان صاحب كرامات، وهو قدس سره من خيرة تلاميذ الشيخ محمد تقي الشيرازي (قائد ثورة العشرين في العراق)، توفي في (٢٨ شعبان عام ١٣٨٠هـ) ودفن في الحرم الحسيني الشريف.

(٤) هو السيد عبد الهادي بن السيد ميرزا إسماعيل بن السيد رضي الدين الشيرازي النجفي، ولد في سر من رأى عام (١٣٠٥هـ) في السنة التي توفي بها والده الحجة، هاجر إلى كربلاء المقدسة وحضر على بعض علمائها، تخرج على الشيخ ملا محمد كاظم الآخوند الخراساني والميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني، وقد كان قدس سره عالماً محققا منقبا، ذا رأي صائب، قوي الحافظة أديباً شاعراً، توفي في عام ←

الحاج حسين القمي رحمه الله[1] يرى أن الكر هو ما وصل إلى ٤٣ شبراً مكعباً تقريباً وهناك من الفقهاء من يقول بكون الكر ٢٧ شبراً، والحال أن هؤلاء الفقهاء درسوا معاً، وربما كان أحدهم ملازماً للآخر، وربما عاشوا في مكان واحد أيضاً، ولكن مع ذلك كانت اجتهاداتهم مختلفة وهذا أمر طبيعي يرتبط بقدرة الاستنباط الشرعي.

٢: الاختلاف في المصالح، هناك اختلاف يحدث أحياناً نتيجة لمصالح الحياة المتباينة. فمثلاً، عندما كنا في كربلاء المقدسة كنا دائماً نستيقظ من النوم مبكراً ونبدأ بممارسة نشاطاتنا اليومية من درس وبحث وتدريس قد يطول إلى منتصف الليل، وعند عودتنا إلى المنزل نكون

→

(١٣٨٢هـ).

(١) هو السيد آغا حسين بن السيد محمود بن محمد بن علي الطباطبائي القمي الحائري من أجلاء العلماء ومشاهير المراجع. ولد في قم في (١٢٨٢هـ) وهاجر إلى مدينة النجف الأشرف سنة (١٣١١هـ) لتكميل تحصيل العلوم الشرعية فحضر بحث الميرزا حبيب الله الرشتي والشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي، وفي (١٣٢١هـ) تشرف إلى سامراء فحضر بحث الميرزا محمد تقي الشيرازي عشر سنين حتى ارتوى من معين فضله وفي سنة (١٣٣١هـ) هبط مشهد الرضا عليه السلام في خراسان واشتغل بالتدريس والإمامة ونشر الأحكام، رشح للزعامة العامة بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني في (١٣٦٥هـ) ومال الناس إليه في إيران والعراق وغيرهما. توفي ببغداد في يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول (١٣٦٦هـ) ودفن في النجف الأشرف في الصحن الشريف. لـه قدس سره تسع رسائل فتوائية، منها: مجمع المسائل والزخيرة الباقية في العبادات والمعاملات ومناسك الحج وذخيرة العباد وهداية الأنام وغيرها.

متعبين جداً فيصادف في هذا الوقت المتأخر من منتصف الليل أن يطرق الباب أناس يطلبون منا أن نقدم لهم بعض الخدمات لرفع الاختلاف الذي حصل فيما بينهم أو لقضاء بعض حوائجهم وتخفيف معاناتهم، وكان ذلك يحول دون راحتنا وراحة عائلتنا، فهنا ينشب التعارض بين المصلحتين وهذا طبيعي، وقد اعتاد الناس عليه بمراجعة أمثالنا لقضاء حوائجهم. أو كمثال آخر في الزمان السابق حيث كان الأطباء يداوون مرضاهم في بيوتهم ـ كما كان هو المعتاد في ذلك الزمان ـ وقد يتضايق الطبيب وعائلته حينما يأتي المريض ليلاً يتأوه من الألم ويبكي فيؤدي ذلك إلى انزعاجهم وسلب راحتهم فيحصل تعارض بين المصالح، مصلحة الطبيب التي هي راحته وراحة عائلته، ومصلحة المريض الذي يريد التداوي ودفع الآلام، وهذه الاختلافات هي من مصالح الحياة الشخصية وهي اختلافات طبيعية.

٣: اختلاف العالِم والجاهل، غالباً ما نرى الاختلاف قائماً بين العالم والجاهل في كثير من جوانب الحياة حتى المتعلقات الشخصية سواء كان في ما يتعلق بوجهات النظر أو فيما يتعلق بالمأكل والملبس.. فنتيجة العلم أن تكون الآراء متعقلة وموزونة وكذلك كل ما يتعلق به من أمور، ولذا يتصرف الإنسان العالم وفق القوانين والموازين السليمة عادة، على العكس من الجاهل الذي تكون تصرفاته غير مدروسة عادة، فالعالم تبرز رؤيته وتحليله للحياة بأسلوب يختلف عن الرؤية

والتحليل الذي يتبعه الجاهل تماماً، وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الجاهل يستوحش مما يأنس به الحكيم»[1].

وقال عليه السلام: «الجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن قبل عالماً»[2].

والعالِم مكلف شرعاً أن يرشد الجاهلين ويعلمهم، لا أن يصطدم معهم ويغيضهم، ومما ورد في مسؤولية العالم تجاه الجاهل عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلموا»[3].

وقال عليه السلام: «على العالم أن يتعلم ما لم يعلم، ويعلم الناس ما قد علم»[4].

وهذه الأقسام الثلاثة التي ذكرناها في الاختلاف لا تحتاج أبداً إلى العنف والخشونة وتعالي الأصوات، بل إن هذا سوف يزيد الأمور تعقيداً وصعوبة، وكل اختلاف مرهون بسببه ومراجعة مقدماته بكل لين وفهم المقابل.

اللاعنف والمناظرة

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ضبط النفس عند الرغب والرهب

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٧٤ ق١ ب١ الفصل ٦ ح١١٤٤.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٧٤ ق١ ب١ الفصل ٦ ح١١٤٣.
(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٧٨.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣ ق١ ب١ الفصل ٢ ح٨٨.

من أفضل الأدب»[1].

وقال عليه السلام: «طلب التعاون على إقامة الحق أمانة وديانة»[2].

من الأمور التي اعتاد عليها بعض الناس في هذه الأيام عند المناظرة هو علو الصوت وافتعال الضوضاء لإرباك وتخويف الخصم، فتلاحظ عندما يناظر شخص شخصاً آخر يرفع صوته ويفتعل حركات مصطنعة لإخافة الطرف المقابل، وهذا الأسلوب غير صحيح؛ فالغلبة على الخصم لاتأتي برفع الصوت والجدال غير المجدي، وإنما تأتي بالمناظرة الهادئة المبنية على الأسس السليمة، وبالجدال الحسن عندما يكون ذلك بحاجة إلى البحث والحوار قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللجوج لا رأي له»[4].

وفي كلام آخر له عليه السلام يقول: «الإصرار شر الآراء»[5].

وقال عليه السلام: «غير منتفع بالحكمة عقل معلول بالغضب والشهوة»[6].

فإذا أردنا أن نصل مع الآخرين إلى الحل الصحيح والاجتماع على

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٨ ق٣ ب٢ الفصل ١ ح٤٨٠٠.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٧١ ق١ ب١ الفصل ١٤ ح٩٧٧.
(٣) سورة النحل: ١٢٥.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٥ ق١ ب١ الفصل ١٢ ح٨٥٢.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٥ ق١ ب١ الفصل ١٢ ح٨٥٤.
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٥ القسم ١ ب١ الفصل ١٢ ح٨٦٣.

رأي صائب فنحصل على النتيجة المطلوبة، يلزم علينا أن نسلك طريقاً بعيداً عن العنف ونتبع أسلوب التفاهم بالحكمة والموعظة الحسنة والهدوء في معاملتنا مع الآخرين.

حينئذ نصل موفقين إن شاء الله تعالى إلى الغاية والهدف..

ثمار اللاعنف

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[1].

إنّ ثمرة الأعمال تتحدد حسب نوعية الاعمال التي يقوم بها الإنسان، فثمرة الخير خير، وثمرة الشر شر، وتعود نتائج هذه الثمرة بالدرجة الأولى على الإنسان نفسه، فاذا عمل عملاً صالحاً فإن نتائجه سوف تظهر لنفسه، سواء في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما، وكذلك العمل غير الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾[2].

وأسلوب الرفق واللين (اللاعنف) له نتائج وثمارٌ عملية إيجابية كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

الأول: رضا الله تعالى

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «توخ رضا الله وتوق سخطه وزعزع قلبك

---

(١) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٢) سورة الجاثية: ١٥.

بخوفه»[1].

يلزم أن يكون هدفنا في جميع أعمالنا هو رضا الله سبحانه وتعالى، فالإنسان في هذا الدنيا محاط بكثير من الأمور التي تحاول أن تجرفه إلى الهاوية، فعليه الحذر والحيطة واتباع الأسلوب الهادئ في جميع أموره.

سُئل أحد المراجع كيف أنت؟

قال: كيف بإنسان وضع قدميه في هذه الدنيا من غير اختيار، وهو يودع الدنيا من غير اختيار، وهو بين هذه وتلك جاهل ضعيف حيران.

لذا ينبغي على الإنسان أن يكون يقظاً ويتجنب اللاعنف وسوء الخلق، وتكون جميع أعماله خالصة لله تعالى طالباً مرضاته تعالى في الغاية والوسيلة على حد سواء، والقرآن الكريم وأحاديث المعصومين عليهم السلام هي بحر زاخر بالمعاني والاشارات الظريفة التي لو تمسك بها الإنسان، لوصل إلى سعادته المنشودة، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تحر رضى الله وتجنب سخطه فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن مغفرته، ولا ملجأ لك منه إلا إليه»[2].

وفي كثير من الموارد حث القرآن الكريم والسنة النبوية على انتهاج الأسلوب اللين والرفق؛ لأن في ذلك مرضاة الله تعالى، ومن يرضى الله عنه يجعل له مخرجاً في جميع أموره، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٠٣ ق٢ ب٣ الفصل ٢ ح٤٠٠٨.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٠٣ القسم ٢ ب٣ الفصل ٢ ح٤٠٠٩.

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ...﴾[1].

فالثمرة الأولى والأساسية في اتباع أسلوب اللاعنف في الحياة هو رضا الله تعالى.

الثاني: الطمأنينة بين الناس

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الرفق يؤدي إلى السلم»[2].

وقال عليه السلام: «ما استجلبت المحبة بمثل السخاء والرفق وحسن الخلق»[3].

وقال عليه السلام: «من ترفق في الأمور أدرك أربه منها»[4].

من الثمار الإيجابية لأسلوب اللاعنف في الحياة هو انتشار الأمان والطمأنينة بين الناس، وإذا استثنينا المعارك في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأنها كانت دفاعية بتمامها بعد نفاذ كل الطرق السلمية، فكثير من الحروب والصراعات الدولية والقبلية وحتى الشخصية التي قامت في الزمن الماضي وفي زماننا هذا، لو بحثنا عن الأسباب التي أدت إليها لوجدنا بأن غالبيتها قامت بسبب التعصب وعدم التعقل (أي العنف والتهور)، ونحن هنا لا نريد ذكر احصائية عن

---

(١) سورة الطلاق: ٢-٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٤٤ ق٣ ب٢ الفصل ٢ ح٤٩٧٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٤٤ ق٣ ب٢ الفصل ٢ ح٤٩٩١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٤٤ ق٣ ب٢ الفصل ٢ ح٤٩٨٧.

الخسائر والويلات والخسائر البشرية والاقتصادية التي جرتها تلك الحروب والصراعات على البشرية، وإنما نريد أن نذكر بأن هذه الحروب والصراعات كان من الممكن تحاشيها لو أتبع أسلوب التفاهم والحوار بدلاً من أسلوب العنف، ولأصبحت هذه الخسائر البشرية والاقتصادية أداة بناء في المجتمعات، فعلينا إذن أن نعتبر من تلك الدروس والعبر التي سطّرها ويسطّرها لنا التاريخ في الماضي وفي وقتنا هذا[1].

الثالث: محبوبية الإنسان

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس»[2].

من الثمار الايجابية التي يجنيها الإنسان من (سياسة اللاعنف) في حياته هي محبوبية ذلك الإنسان في المجتمع والتفاف الناس حوله، فسياسة اللين والرفق التي كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يتبعها في تعامله مع الناس كان لها الأثر البليغ في دخول الناس في دعوته والالتفاف

---

(١) في بعض الإحصاءات عام ١٤١٤هـ تقول: إن عدد الحروب الرئيسية التي شهدها العالم بلغ ١٤٩ حرباً وكان عدد الضحايا ٢٣,١٤٢,٠٠٠ مليون نسمة.
وفي إحصائية عن الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت طوال ثمان سنوات ذكرت جريدة القبس الكويتية في (١٩٨٨/٤/٢م) أن: مقدار الديون المستحقة على العراق حتى عام (١٩٨٧م) بلغت ٩٠ مليار دولار، و٤٠٠ مليار دولار إجمالي خسائر الحرب العراقية الإيرانية، و٢ مليون قتيل وجريح سقطوا في هذه الحرب.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٢٠ باب الرفق ح١٦.

حوله، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾[1].

وهكذا جميع الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين جرت الأخلاق السامية في نفوسهم مجرى الدم في العروق، فهذا الإمام السجاد عليه السلام يلتقي به شيخ من أهل الشام، والإمام عليه السلام بحالة يرثى لها من الأسر والمعاناة، رجلاه مقيدتان بالحديد على ظهر الناقة، يُسار به إلى يزيد بن معاوية، ومع هذا كله يقف الشيخ ويأخذ بزمام ناقة الإمام عليه السلام ويوجه له خطاباً عنيفاً ينم عن جهله بحقيقه الأمر، فيقول: الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم، وأكذب أحدوثتكم، وأراح العباد والبلاد منكم!.. فيقابل الإمام عليه السلام هذه الخشونة والغلظة بطيب الكلام ولين الأخلاق فيقول عليه السلام: «يا شيخ هل قرأت القرآن؟».

فقال الشيخ: نعم ما أنت والقرآن؟

فقال عليه السلام: «يا شيخ، هل قرأت: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2]؟».

فقال الشيخ: نعم، وما أنت وهذه الآية؟

وذكر له الإمام عليه السلام بعض آيات القربى ثم قال: «يا شيخ، والله نحن القربى!»[3] فلما استيقن الشيخ وعلم أن هذا هو ابن رسول الله

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) راجع اللهوف: ص١٧٦ المسلك الثالث.

ﷺ وهو مظلوم ثارت ثائرته ضد حكومة بني أمية الطاغية الباغية.

فهذه ثمرة اللاعنف، حول العدو إلى محب، فالإمام السجاد عليه السلام لم تثر ثائرته بوجه هذا الشيخ، بل كلمه بلين ورفق حتى استطاع توصيل الحقيقة إليه.

نعم، إن المسلمين بأمس الحاجة إلى أن يعتبروا اللاعنف منهجاً وسلوكاً في جميع أعمالهم..

«اللهم صل على محمد وآله، وحلني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتقين في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة، وضم أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة وخفض الجناح، وحسن السيرة، وسكون الريح، وطيب المخالقة، والسبق إلى الفضيلة، وإيثار التفضل، وترك التعيير، والإفضال على غير المستحق»[1].

(١) الصحيفة السجادية: من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

من هدي القرآن الحكيم

اللاعنف سلوك حسن

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[2].

وقال عزوجل: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[3].

بالعمل تنال الدرجات العلى

قال جل وعلا: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ

---

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٣) سورة الأنفال: ٦١.

(٤) سورة الأحقاف: ١٩.

(٥) سورة الأنعام: ١٣٢.

﴿إِلَى النُّورِ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾[2].

ثمار العمل

قال عزوجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[3].

وقال جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[6].

---

(١) سورة الطلاق: ١١.

(٢) سورة الكهف: ١١٠.

(٣) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٤) سورة النور: ٥٥.

(٥) سورة البقرة: ٨٢.

(٦) سورة ص: ٢٨.

الاختلاف

قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[1].

وقال عزوجل: ﴿مَا كَانَ النَّاسُ إِلاَ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[2].

من هدي السنة المطهرة

الله رفيق يحب الرفق

قال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله عزوجل رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[3].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى رفيقٌ يحب الرفق، فمن رفقه بعباده تسليله أضغانهم ومضادتهم لهواهم و قلوبهم، ومن رفقه بهم أنه يدعهم على الأمر يريد إزالتهم عنه رفقاً بهم؛ لكيلا يلقي عليهم عرى الإيمان ومثاقلته جملة واحدة فيضعفوا، فإذا أراد ذلك نسخ الأمر بالآخر فصار منسوخاً»[4].

---

(١) سورة هود: ١١٨.

(٢) سورة يونس: ١٩.

(٣) الكافي: ج٢ ص١١٩ باب الرفق ح٥.

(٤) الكافي: ج٢ ص١١٨ باب الرفق ح٤.

وقال أبو جعفر عليه السلام : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن هذا الدين متينٌ فأوغلوا فيه برفق، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله؛ فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع و لا ظهراً أبقى»(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي، إن هذا الدين متينٌ فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك، إن المنبت ـ يعني المفرط ـ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يتخوف أن يموت غداً»(٢).

الغضب أول العنف

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عامل بالعنف ندم»(٣).

وقال عليه السلام: «لا تغضبوا ولا تعضبوا أفشوا السلام وأطيبوا الكلام»(٤).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «مكتوب في التوراة فيما ناجى الله عزوجل به موسى عليه السلام: يا موسى أمسك غضبك عمن ملَّكتُك عليه أكفَّ عنك غضبي»(٥).

---

(١) الكافي: ج٢ ص٨٦ باب الاقتصاد في العبادة ح١.
(٢) وسائل الشيعة: ج١ ص١١٠ ب٢٦ ح٢٧٠.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٨ ق٦ ب٥ الفصل١ ح١٠٤٧٣.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٥٩ ب٣٤ ح١٥٦٤٢.
(٥) الكافي: ج٢ ص٣٠٣ باب الغضب ح٧.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله علمني، قال صلى الله عليه وآله وسلم: اذهب ولا تغضب، فقال الرجل: قد اكتفيت بذاك، فمضى إلى أهله، فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تغضب، فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه، فقال: يا هؤلاء، ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه، فقال القوم: فما كان فهو لكم، نحن أولى بذلك منكم، قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب»[1].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إن في التوراة مكتوباً: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت بمظلمةٍ فارض بانتصاري لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»[2].

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصني.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تغضب».

ثم أعاد عليه. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تغضب» ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[3].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٠٤ باب الغضب ح١١.

(٢) الكافي: ج٢ ص٣٠٤ باب الغضب ح١٠.

(٣) تحف العقول: ص٤٧ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

أخذت باليسير

وعن حنان بن سدير قال: كنت أنا وأبي وأبو حمزة الثمالي وعبد الرحيم القصير وزياد الأحلام حُجاجاً، فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام فرأى زياداً وقد تسلخ جلده، فقال له: «من أين أحرمت؟».

قال: من الكوفة.

قال: «ولم أحرمت من الكوفة؟».

فقال: بلغني عن بعضكم أنه قال: ما بعد من الإحرام فهو أعظم للأجر.

فقال: «ما بلَّغك هذا إلا كذاب».

ثم قال لأبي حمزة الثمالي: «من أين أحرمت؟».

فقال: من الربذة.

فقال له: «ولم لأنك سمعت أن قبر أبي ذر بها فأحببت أن لا تجوزه».

ثم قال لأبي وعبد الرحيم: «من أين أحرمتما؟».

فقالا: من العقيق.

فقال: «أصبتما الرخصة واتبعتما السنة، ولا يعرض لي بابان كلاهما حلال إلا أخذت باليسير؛ وذلك لأن الله يسير يحب اليسير

ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنف»[١].

ثمار اللاعنف

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبّهما إلى الله عزوجل أرفقهما بصاحبه»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما وضع الرفق على شيء إلا زانه، ولا وضع الخرق على شيء إلا شانه، فمن أعطي الرفق أعطي خير الدنيا والآخرة، ومن حرمه حرم خير الدنيا والآخرة»[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من رفق بمصاحبه وافقه، ومن أعنف به أخرجه وفارقه»[٤]. وقال عليه السلام: «موافقة الأصحاب تديم الاصطحاب، والرفق في المطالب يسهل الأسباب»[٥].

وقال عليه السلام: «اجملوا في الخطاب تسمعوا جميل الجواب»[٦].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «من قسم له الرفق قسم له

---

(١) الاستبصار: ج٢ ص١٦٢ ب٩٣ ح٥.
(٢) الكافي: ج٢ ص١٢٠ باب الرفق ح١٥.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٩٢ ب٢٧ ح١٣٠٦٤.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣٦ ق٦ ب٣ الفصل ٣ ح٩٩٩٨.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣٦ ق٦ ب٣ الفصل ٣ ح٩٩٨٤.
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣٦ ق٦ ب٣ الفصل ٣ ح٩٩٧٩.

الإيمان»[١].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما استجلبت المحبة بمثل السخاء والرفق وحسن الخلق»[٢].

نوعية العمل المقبول عند الله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من عمل أحب إلى الله تعالى وإلى رسوله من الإيمان بالله والرفق بعباده، وما من عمل أبغض إلى الله تعالى من الإشراك بالله تعالى والعنف على عباده»[٣].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء: «وأعني على صالح النية ومرضي القول ومستحسن الأعمال»[٤].

وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر أنه قال: «يا أبا ذر: كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماماً منك بالعمل، فانه لا يقل عمل بالتقوى وكيف يقلُّ عمل يتقبل..»[٥].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لا خير في عمل إلا مع اليقين

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٦٩ ب٢٧ ح٢٠٤٨٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٤٤ ق٣ ب٢ الفصل ٢ ح٤٩٩١.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٥٤ ب٤٢ ضمن ح١٩.

(٤) الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام في يوم عرفة.

(٥) مكارم الأخلاق: ص٤٦٨ ب١٢ الفصل ٥ في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الغفاري رحمه الله.

والورع»[1].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «ما من شيء أحب إلى الله عزوجل من عمل يداوم عليه وإن قل»[2].

اللاعنف في المعيشة

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق فقد وسع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خيرٌ من السعة في المال، والرفق لا يعجز عنه شيء، والتبذير لا يبقى معه شيء، إن الله عزوجل رفيق يحب الرفق»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما زوي الرفق عن أهل بيت إلا زوي عنهم الخير»[5].

اللاعنف في التبليغ

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٦ ق١ ب٦ الفصل ٤ ح٢٩٤٢.
(٢) الكافي: ج٢ ص٨٢ باب استواء العمل والمداومة عليه ح٣.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧٠ ب٢٧ ح٢٠٤٨١.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧١ ب٢٧ ح٢٠٤٨٦.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧١ ب٢٧ ح٢٠٤٨٧.

عن هشام بن أحمر عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لي وقد جرى بيني وبين رجل من القوم كلامٌ فقال لي: «أرفق بهم، فإنّ كفرَ أحدهم في غضبه، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن عيسى عليه السلام لما أراد وداع أصحابه جمعهم وأمرهم بضعفاء الخلق ونهاهم عن الجبابرة، فوجه اثنين إلى أنطاكية فدخلا في يوم عيد لهم، فوجداهم قد كشفوا عن الأصنام وهم يعبدونها، فعجلا عليهم بالتعنيف، فشُدا بالحديد وطرحا في السجن، فلما علم شمعون بذلك أتى أنطاكية حتى دخل عليهما في السجن وقال: ألم أنهكما عن الجبابرة؟

ثم خرج من عندهما وجلس مع الناس مع الضعفاء، فأقبل يطرح كلامه الشيء بعد الشيء، فأقبل الضعيف يدفع كلامه إلى من هو أقوى منه وأخفوا كلامه إخفاءً شديداً، فلم يزل يتراقى الكلام حتى انتهى إلى الملك، فقال: منذ متى هذا الرجل في مملكتي؟

قالوا: منذ شهرين.

فقال: علي به، فأتوه فلما نظر إليه وقعت عليه محبته، فقال: لا أجلس إلا وهو معي.

فرأى في منامه شيئا أفزعه، فسأل شمعون عنه، فأجاب بجواب حسن فرح به، ثم ألقي عليه في المنام ما أهاله فأولها له بما ازداد به سروراً، فلم يزل يحادثه حتى استولى عليه، ثم قال: إن في حبسك

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧١ ب٢٧ ح٢٠٤٨٨.

رجلين عابا عليك.

قال: نعم.

قال: فعلي بهما.

فلما أتي بهما قال: ما إلهكما الذي تعبدان؟

قالا: الله.

قال: يسمعكما إذا سألتماه، ويجيبكما إذا دعوتماه.

قالا: نعم.

قال شمعون: فأنا أريد أن أستبرئ ذلك منكما.

قالا: قل.

قال: هل يشفي لكما الأبرص.

قالا: نعم.

قال: فأتي بأبرص فقال: سلاه أن يشفي هذا.

قال: فمسحاه فبرأ.

قال: وأنا أفعل مثل ما فعلتما.

قال: فأتي بآخر فمسحه شمعون فبرأ.

قال: بقيت خصلة إن أجبتماني إليها آمنت بإلهكما.

قالا: وما هي؟

قال: ميت تحييانه.

قالا: نعم.

فأقبل على الملك وقال: ميت يعنيك أمره؟

قال: نعم ابني.

قال: اذهب بنا إلى قبره فإنهما قد أمكناك من أنفسهما.

فتوجهوا إلى قبره فبسطا أيديهما، فبسط شمعون يديه فما كان بأسرع من أن صدع القبر وقام الفتى فأقبل على أبيه، فقال أبوه: ما حالك؟

قال: كنت ميتا ففزعت فزعة فإذا ثلاثة قيام بين يدي الله باسطوا أيديهم يدعون الله أن يحييني وهما هذان وهذا.

فقال شمعون: أنا لإلهكما من المؤمنين.

فقال الملك: أنا بالذي آمنت به يا شمعون من المؤمنين.

وقال وزراء الملك: ونحن بالذي آمن به سيدنا من المؤمنين.

فلم يزل الضعيف يتبع القوي فلم يبق بأنطاكية أحد إلا آمن به»[1].

اللاعنف السياسي

كانت سياسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام على اللين والسلم واللاعنف، أما الذين تقمصوا الخلافة فلم يسيروا على سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فعن ابن عباس قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته . وقال: ائتني به بأعنف العنف![2].

وورد في قصة أبي ذر رحمه الله أنه: كتب عثمان إلى معاوية أن احمل

---

(١) بحار الأنوار: ج١٤ ص٢٥٢ ب١٨ ح٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٨ ص٣٨٨ ب٤ تتميم.

أباذر على ناب صعبة وقتب، ثم ابعث معه من ينجش به نجشاً عنيفاً حتى يقدم به عليّ، قال ـ الراوي ـ : فحمله معاوية على ناقة صعبة عليها قتب ما على القتب إلا مسح، ثم بعث معه من يسيره سيراً عنيفاً.

قال: وخرجت معه فما لبث الشيخ إلاّ قليلاً حتى سقط ما يلي القتب من لحم فخذيه وقرح، فكنا إذا كان الليل أخذت ملائي فألقيتهما تحته، فإذا كان السحر نزعتها مخافة أن يروني فيمنعوني من ذلك[1].

لا للعنف

عن أبي جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام أن علياً عليه السلام كان يقول: «لا قطع على أحد تخوف من ضرب ولا قيد ولا سجن ولا تعنيف إلاّ أن يعترف، فإن اعترف قطع، وإن لم يعترف سقط عنه لمكان التخويف»[2].

وقال الإمام الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾[3]: «عفواً من غير عقوبة ولا تعنيف ولا عتب»[4].

اللاعنف دائماً

قال أبو عبد الله عليه السلام لبريد بن معاوية: «بعث أمير المؤمنين عليه السلام مصدّقاً من الكوفة إلى باديتها، فقال له: انطلق يا عبد الله وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له، ولا تؤثرن دنياك على آخرتك، وكن

---

(١) بحار الأنوار: ج٣١ ص٢٧٤ ب٢٠ نكير أبي ذر.
(٢) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص١٢٨ ب٨ ح١٢٨.
(٣) سورة الحجر: ٨٥.
(٤) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٣٥٧ ب٢٦ ح١٢

حافظاً لما ائتمنتك عليه، راعياً لحق الله فيه، حتى تأتي نادي بني فلان. فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بسكينة ووقار حتى تقوم بينهم فتسلّم عليهم، ثم قل لهم:

يا عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم حق فتؤدوه إلى وليه؟

فإن قال لك قائل: لا، فلا تراجعه، فإن أنعم لك منعم منهم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلاّ خيراً، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلاّ بإذنه فإن أكثره له، فقل له: يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك، فإن أذن لك فلا تدخل دخول متسلّط عليه فيه **ولا عنف به**، فاصدع المال صدعين ثم خيره أي الصدعين شاء، فأيهما اختار فلا تعرض له، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له، ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله عزوجل في ماله، فإذا بقي ذلك فاقبض حق الله منه، فإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما واصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله، فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً شفيقاً أميناً حفيظاً غير معنف بشيء منها، ثم احدر ما اجتمع عندك من كل ناد إلينا نصيّره حيث أمر الله عزوجل، فإذا انحدر بها رسولك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يفرق بينهما، ولا يصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها، ولا يجهد بها ركوباً، وليعدل بينهن في ذلك، وليوردهن كل ماء يمر به، ولا يعدل بهن عن نبت الأرض إلى جواد الطرق في الساعة التي فيها تريح وتغبق، وليرفق بهن جهده حتى تأتينا بإذن الله صحاحاً سماناً، غير متعبات ولا مجهدات،

فنقسمهن بإذن الله على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على أولياء الله، فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك، ينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته، فإن رسول الله ﷺ قال: ما ينظر الله إلى ولي له يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة لإمامه إلا كان معنا في الرفيق الأعلى».

ـ ثم بكى أبو عبد الله عليه السلام ثم قال ـ : «يا بريد، والله ما بقيت لله حرمة إلا انتهكت، ولا عمل بكتاب الله ولا سنة نبيه في هذا العالم، ولا أقيم في هذا الخلق حد منذ قُبض الله أمير المؤمنين عليه السلام ولا عمل بشيء من الحق إلى يوم الناس هذا ـ ثم قال: ـ أما والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتى ويميت الأحياء ويرد الحق إلى أهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه ونبيه فأبشروا ثم أبشروا فوالله ما الحق إلا في أيديكم»[1].

اللاعنف من صفات المؤمن

وصف أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام المؤمن بهذه الصفات فقال:

«يا همام، المؤمن هو الكيس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذل شيء نفساً، زاجر عن كل فان، حاض على كل حسن، لا حقود ولا حسود، ولا وثَّاب ولا سبَّاب، ولا

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ب١٠٧ ح٣٦.

عياب ولا مغتاب، يكره الرِّفعة، ويشنأ السمعة، طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، وقور ذكور، صبور شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليقة، لين العريكة، رصين الوفاء، قليل الأذى، لا متأفك ولا متهتك، إن ضحك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسم، واستفهامه تعلم، ومراجعته تفهم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا يبخل ولا يعجل، ولا يضجر ولا يبطر، ولا يحيف في حكمه، ولا يجور في علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف، ولا متكلف ولا متعمق، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهور ولا يتهتك ولا يتجبر...»[1].

اللاعنف مع الحيوان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعين عليه فإذا ركبتم الدواب العجف فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض مجدبة فانجوا عنها، وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تضربوا وجوه الدواب وكل شيء فيه الروح؛ فإنه يسبّح بحمد الله»[3].

وعن إبراهيم بن علي عن أبيه قال: حججت مع علي بن الحسين

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٢٦ باب المؤمن وعلاماته ح١.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٢٠ باب الرفق ح١٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج١١ ص٤٨٥ ب١٠ ح١٥٣٢.

عليه السلام فالتاثت عليه الدابة في سيرها، فأشار إليها بالقضيب ثم قال: «آه لولا القصاص» وردّ يده عنها[١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إذا سرت في أرض خصبة فارفق بالسير، وإذا سرت في أرض مجدبة فعجل بالسير»[٢].

أهمية العمل

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «...والعمل كنز، والدنيا معدن...»[٣].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «...وما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع»[٤].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم يرشدك والعمل يبلغ بك الغاية»[٥].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «يا هشام إن كل الناس يبصر النجوم ولكن لا يهتدي بها إلاّ من عرف مجاريها ومنازلها، وكذلك أنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلاّ من عمل بها»[٦].

---

(١) الإرشاد: ج٢ ص١٤٤ باب ذكر طرف من الأخبار لعلي بن الحسين عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ج٦١ ص٢١٥ب٨باب حق الدابة عليى صاحبها ضمن ح٢١.

(٣) أعلام الدين: ص٣٤١، أربعين المؤلف ح٢٨.

(٤) الكافي: ج٢ ص٧٤ باب الطاعة والتقوى ح٣.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٥ ق١ ب١ الفصل ٢ ح١٤٤.

(٦) تحف العقول: ص٣٩٢ ما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام وصيته عليه السلام لهشام وصفته للعقل.

الفهرس

العنف ٦
العدوانية وعلاجها ١٠
العمل المصحوب باللاعنف ١٨
الغضب من مصاديق العنف ٢١
منهج اللاعنف في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ٢٦
اللاعنف عند العلماء ٥٢
الاختلاف السلبي والإيجابي ٥٤
اللاعنف والمناظرة ٥٩
ثمار اللاعنف ٦١
من هدي القرآن الحكيم ٦٧
من هدي السنة المطهرة ٦٩